# تلويحة عالقة في الهواء

مفتاح العلواني

# تلويحة عالقة في الهواء

شعر

دار البيان للنشر والتوزيع والاعلان
البيان
978 9959 37

# تلويحة عالقة في الهواء

## شعر

## مفتاح العلواني

لوحة الغلاف للفنان التشكيلي الليبي عمر جهان
التصميم والاخراج ناصر علي جابر


- الطبعة الأولى: 2019/11 م
- رقم الإيداع المحلي: 740 /2019دار الكتب الوطنية بنغازي
- الرقم الدولي الموحد: ردمك ISBN 978-9959-37-113-3

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب بنغازي – ليبيا



- جميع حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناشر:



**دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان**

بنغازي - ليبيا

هاتف 061.2232104 – محمول 091.2090770

# مثلَ ثقبٍ في نافذة

تأخر الوقت..

أقول ذلك ثم أشرع بكتابة قصيدة

طويلة لا تنتهي..

أنظر لها جيداً بعد ذلك..

أتفحّصها.. أتلمس أطرافها لو أن بها نتوءات..

أنفث عليها بخار روحي ثم أمسحها

بطرف قلبي.. لكنها لا تتضح.

أبتسم وأمحوها بلا سبب وأبكي..

تأخر الوقت..

والأيام الغزيرة تتدفق فوق منحدر العمر بسرعة..

وأنا لا أفعل شيئاً سوى حفر النايات أمامها

كي لا تجرف كل شيء..
أغمض عيني نصف إغماضة ولا شيء واضح في الأفق..
أُسرع في المشي..
أهرول.. أركض..
لكن الوقت قد تأخر حقاً..
تأخر عن كل شيء
عن الحب والكره..
عن انتظار الذين لم ينتظرونا
عن قول أشياء كان لابد من قولها وهي
طازجة..
تأخر حتى عن الاعتذارات الحقيقية..
الاعتذارات التي كنا نترقبها كي نسامح الأحبة..
لا وقت أيضاً للضحك
حيث سيبدو الأمر وقحاً كثيراً حين نضحك
في الوقت الضائع..
البكاء فقط.. يعد صالحاً حتى بعد انتهاء الوقت.

# لا شيء قد تغيّر

لا شيء قد تغير كثيراً..

منذ زمن وأنا أكمل في كل مرةٍ عاماً

بروح مرتعشة..

وأدخل عاماً آخر من بابه الضيق تماماً..

وليس معي سوى حفنة من شوق

لا يذوب لأيامٍ خلت..

لازلت طرياً تدوسني الليالي الطويلة بأقدامها..

وتضحك النهايات عليّ بينما أركض لأعانقها..

لا شيء قد تغير حقاً..

لا زال أبي كلما خرج يغمز لي بعينه أنِ انتظرني

في نهاية الشارع كي لا يراك إخوتك..

أبي الذي غاب فجأة ولم يغمز حتى..

اليوم يبدو العمر هشاً كثيراً..

كل نفخة تُطيّر منه أياماً

وتتناثر في كل اتجاه بلا قدرة على جمعها..

الطريق ليس صعباً كثيراً..

ليس عليّ سوى النظر للأمام فقط..

والغناء بشكل متواصل..

هكذا يمكن للأرصفة أن تضيء..

لم يطرأ عليّ شيء البتة

بعد كل هذه السنين أبدو مثلَ ثقبٍ في نافذة..

الكلّ ينظر من خلالي ولا أحد..

لا أحد يفكر في الدخول.

# الشوارع الفقيرة

الشوارع الفقيرة تجاعيد البلاد..

وبعض البلاد يدها ناعمة تحكّ تجاعيدها

بحنوّ الأمهات.. ثم تبكي

بعضها تشيخ كثيراً

تشيخ حتى عن رفع يدها لتمسّد شوارعها...

البعض أيضاً يا صديقي لا حنان بها..

تغرس أظافرها في كل شارع ليسيل الفقراء

منه مثل دمٍ فاسد..

بعض التجاعيد تداوي نفسها بنفسها..

مثل قطةٍ تلعق جروحها الليل كله..

ثم تستقبل الصباح بعرجٍ

في القلب..

أعرف بلاداً أيضاً تجعّدت كلها..

صار وجهها مثل مخطوطة

عتيقة..

مأكولة الأطراف..

ولا أحد.. لا أحد يضع مرهماً فوق جلدها المتهيّج

من دموع المساكين..

الشوارع الفقيرة يا صاحبي ربما جروح

واسعة أيضاً..

والساسة كل الساسة مثل دود فوقها ولا غير..

# نعتذر

للمتاهات التي عرفتنا قيمة السبل..
للسُّبل وهي توصل التائهين
ولا أحد يعانقها..
للشجرة وهي تقف على ساق واحدة منذ زمن
تحلم بأن تلتقط أوراقها المتساقطة..
للزمن ونحن نتذمّر من ركضه
بينما لا نفعل شيئاً عندما يتوقف سوى الضحك..
للدمع الذي يقوم بواجبه وينحدر
فرحاً وحزناً.
للصباحات الجميلة التي تستمر بالمجيء
رغم ليلنا الطويل..

للرفاق عندما توشوشنا أنفسنا بهجرهم ثم نلعنها..

لليد وهي ترتعش داخل جيوبنا

متعبةً من التلويح..

لجباهنا ونحن نسمع صوت تشققها كلما تداعكت

الذكريات في رؤوسنا..

لخُطانا التي أجبرناها على المضي قدماً

دون وجهة معينة..

للمقاعد الفارغة إلا من بقايا قُبلٍ متناثرةٍ لم يتغير لونها..

للشعر الذي يعرف أننا يتامى..

فيمسح على رؤوسنا بيده الناعمة..

للنوم ونحن نترجاه أن يأتي كل ليلة قبل مجيء كل شيء..

وللخذلان أيضاً

الخذلان الذي لعنّاه كثيراً ثم تبين

أنه كان ينتشلنا منهم..

لكل الذين أحبونا ولم نجد الوقت لنسمعهم

عن قربٍ ونحبهم.....نعتذر

# أنت؟

أنتَ أيّها الشّمعة!

– أتقصدُني؟

– نعم..

و إلَا فكيف أراكَ

تحترقُ... و تذْوي... و تُضيئُني معاً!

قال الظلامُ لي..

ثمّ اختفَى خلفَ الصّباح...

**

– أنتَ يا رأسَ الحجَر!

– أتقصدِينني؟

– بلا شَك

مالِي أسقِيك كلّ ليلةٍ

بماءٍ منهمرٍ و لا يخضرّ وجهك؟!
قالتْ العينُ لي
ثمّ أرسلتْ نهراً...
**

– أنت يا عديمَ الزمن
– أنا؟
– ومن غيرُك؟
و إلا فكيفَ نمرّ عليكَ كما يمرّ
طيرٌ على أعمَى!
قالَ رأسُ السّنة
ثمّ احتضنَ ذيلَ السنةِ القادِمة...
**

– أنت يا شمْعة.. يا رأسَ الحجرِ.. يا خَاليَ الوقت
– من أنت؟
– مالكَ كلّما ضاقَ صدرُك خَنقتني!؟
قال الشعرُ..
ثمّ دفعنِي من على حافّته...

# حصّالة

أحاول جمع أيامي بقلب

مثقوب

عرفت ذلك عندما قدّم لي

صبي في الحي قلباً معطوباً

باهتاً..

قال إن الصبية منذ زمن

وهم يلعبون بما يتساقط من عمري..

يلفّون الأيام مثل كرة

ويركلونها في شوارع الحي..

لابد أن كثيراً من الأيام

قد فقدتها دون أن أدري..

في الأزقة.. تحت الطاولات.. على شبابيك المصارف

في سيارات الأجرة.. وأنا أركض صوب السرابات

لابد أنها كانت سهلة على النشالين أيضاً

أعرف كثيرين مثلي..

أيامهم تبدو خلفهم مثل خط دقيق

يتسرب على مهل..

لتذروها الرياح في كل مكان

سيء أن تكون مثقوباً كل هذه السنين

لتجد نفسك واقفاً في زقاق صغير بحفنة

من الأيام..

ترجّها مثل قطع نقدية وتبتسم

تبتسم لأنها لا تكلفك عناء

البحث عن حصّالة لعمرك المنثور

# عندما تُفلتك الحرب

عندما تفلتك الحرب من دونهما

ستكون عاجزاً مثل عمود إنارة مُطفأ..

عن مسح عينيك إثر بكاء حار..

وعن احتضان الأحبة كما كنت تفعل

حينما كنت تلفهم بهما كي لا يأخذهم الزمن

غلاباً..

ستتلكأ.. حينما يسألك الناس

عن الوقت..

وتنسى آخر مرة ارتديت فيها ساعة..

ستتمنى لو أن شيئاً يعلق بهما

أي شيء ولو كان قيداً..

ستبكي عندما يقول أحدهم مصادفة

(يد واحدة لا تصفق)

ستبكي لأنك لا تقدر حتى على التلويح

للراحلين بيد واحدة..

وستتشقق جبهتك كلما حاولت عبثاً مسح عرقك..

ولن تعرف أيضا كيف تمد أحداهما

للذين يحاولون انتشالك..

عندما تفلتك الحرب دونهما

ستعرف حينها قيمة الموت

في ساحتها بيدين كاملتين.

# إعادة تعريف

الندم

أن تتحسر على كل التلويحات

التي لازالت عالقة في الهواء..

بينما يدك في جيبك ترتعش

ولم يرجع أحد لأجلها..

...

الكذب

أن تقول لروحك كل يوم

إنك قد شُفيت منهم..

..

البكاء

أن يمتلئ قلبك بدمع

كثير يمتنع عن التدفق..

..

الوحدة

أن ترى كل هذه الشفاه

تتحرك..

ولا تسمع شيئاً..

..

الخذلان

أن تقذفَ لهم كلك

ولا يُبقوا لك منك شيئاً

تستر به عورة غيابهم.

# الحطّاب

عندما تقدم به العمر
صار فارعاً
ويشبه وجهه لحاء الشجر
شعر بحنين جارف ومفاجئ
للغابة..
تحلق الطيور فوق رأسه
ويتسلقه أطفال الحي أحياناً
وهو صامت.. صامت ويمعن النظر
في أوراقه التي تتساقط على مهل..
يحلف لجيرانه أنه..
يشعر برغبة في غرسهما بالتراب

يضحكون.. لكن يده
ما انفكت تطول وتتفرع
مرة أخذته غفوة في الحديقة
وعندما استيقظ وجد مكتوباً على جنبه:
(مذ غبت وأنا باهت مثل هذه الشجرة)
بكى كثيراً حينها
أحس أن جذوعه تتيبس حقاً
وقف.. ابتعد.. مشى
ركض صوب الغابة.. غرس نفسه
هناك بسرعة غمرته النشوة.. أغمض عينيه
تذكر كل الأشجار التي قطعها عندما كان حطّاباً
وقبل أن تأخذه غفوة طويلة
طعنه أحدهم بفأسه الحادة في جذعه
وقطعه...

# تَقهقُرٌ بلاَ جسد

منذ أن مات أبي وأنَا

أَركض..

لم أبرح مَكانِي.. لكنني كنت أركض

بقوةٍ هائلة عكس الزمن!

كانت أطرافي تسقط وتذوب..

و الدمع يجرح خدّ الريح

كلما انحدرت دمعة.. رأيت

دماً يسيل في الهواء!

أركض..

ماراً بأَحلامي القَديمة

أَحلاَمي التي فتّت أَبي

أَحلامه لأجلها..

لوّحتْ لي.. غير أن رأْسي الْتوى

و أنا أنظر إليها مشدوهاً حتى

توارت في الأُفق!

في الطريق أَيضاً صادفتُ ظلّي..

كان يجري في الاتّجاه

المقابل..

لم يتعرف عليّ!

كما أن أطرافه لم تسقط!

مطّ شفتيه وابتعد أيضاً..

مات أبي.. ومذ ذاك وأنا أعدو إلى

الخلف..

أَرى أُناساً يبتسِمون..

و آخرين انفجرت حناجرهم وهم

ينادون موتاهم..

لكنهم ليسوا مِثلك يا أَبي..

لا يشبهونك يا حبيبي..

أركض..

أعبُر أزمنةً قديمة.. وحضاراتٍ شاسعة..

تُصادفني أغانٍ لَطالما ردّدتها لأمّي

في غفلةٍ من الحزن..

أَصابَها الخَرسُ يا أبي..

وأنا تعبتُ.. تعبتْ

أَعيانِيَ الرَكضُ مِن بعدك

ووَهنتْ رُوحي.. وتَساقطْت

كُل أطْرافِي..

و استحالت أرضُ قَلبي قَفراً..

و النّاس.. كلّ النّاسِ فِي غِيابِك سَواء..

سأَقِفُ الآن عنِ الرّكض.. و أَنتظر..

أَنتظِرُ أنْ تَلوح رُوحكَ في الأُفق

لأَستَعيد بعضاً مِن نفسٍ ادّخرتُه لِعناقٍ

طويل..

طوِيل..

# التائهون

وحدهم التائهون يدلّوننا

أولئك الذين يعرفون أن التيه هو الوصول..

كل الذين وصلوا حقيقةً خُذلوا

و خابت ظنونهم..

خسروا الكثير من الخطى

و الكثير الكثير من الطرق المجهولة المثيرة للخوف

و المتعة معاً..

التائهون خبروا كل الطرق الآن..

صاروا قادرين على الوصول لكنهم قرروا عدم ذلك

كي لا تصدمهم النهايات..

المتاهات هي السبل..

لكننا نُصِرّ دائماً على أننا ضائعون..

أعرف تائهاً وصل مبكراً للآن

و هو يحاول أن يتوه مجدداً

و كلما فعل سمع ما يشبه التشقق

في روحه..

لا يمكنك أن تشعر بشيء و أنت في مكانك..

الأمر أشبه بالساعة..

توقفها لا علاقة له بمرور الزمن مطلقاً

# مفتاح

اسمي مفتاح

لست صالحاً لأي باب

ومحاط بخمسة وثلاثين سنة من السير

بين أزقة الأيام...

وعندما أتعب أجلس فوق رصيف العمر

بينما أتسرب مني كإطار مثقوب

لدي أصدقاء لا أحبهم

وآخرون أخفيهم عن أعين الغياب الحادة

وحبيبة أحبها ألف عام في كل يوم..

وشوارع في رأسي مزدحمة بأناس زائدين عن الحاجة

لا وزن لي.. لكنني أسقط بقوة
لي ظل حزين جداً..
مرة نزلت لألتقط أنفاسي فتشبث بي وبكى
هناك سوء فهم بيني وبين الحياة
لم أفعل لها شيئاً..
لكن موت أبي لمس رجلي من الخلف بينما
كنت أركض نحوها..
منذها وأنا أتدحرج وأمد يدي لها ولا تلتقطني..
اسمي مفتاح
للآن وكل الذين وصلوا إليّ على شكل موج
تراجعوا..
وأنا أقف كشاطئ حزين.

# المدينة

وأنت تطلق لروحك العنان في شوارع مدينتك..

تمد الخطو بخجل..

وتظن أن الناس كل الناس

تنظر إليك وترثيك..

تقع عيناك على صبي فتبتسم له..

ينتظر إشارة أمه ليرد لك الابتسامة

ولا تأتيه...

***

تكمل طريقك بلا وعي حتى..

يحييك أحدهم.. وقبل أن تتفحص وجهه ينعطف

لشارع آخر.. ثم تتذكر أنه ظلك..

ما الذي يشدك إلى نهاية المدينة؟
لا شيء.. لكن خطوتك تتسع..
تحرك قطعة نقدية داخل جيبك بيد خائفة...
***

لا شيء صالح في هذه البلاد..
لا الحب ولا الكره..
تقول ذلك في نفسك بينما الحياة بعرقها الخبيث
تجلس في الطرف الأقصى من المدينة..
تشزرها كثيرا بعينيك
***

تود لو تفقأ عينيها ثم تدخن
سيجارة النصر على رأسها
لكنها تركلك بعيداً
بعيداً.. حتى روحك الآيلة للسقوط.

# حين تنام الحرب

في آخر الليل..
وعندما تأخذ الحربَ سنةٌ من النوم
سنتسلل يا صديقي بحذر..
ونسرق مفاتيح الشوارع من
جيبها العميق..
نفتح الأزقة المغلقة بهدوء
وندخل على أطراف أرواحنا..
نسلّم على البيوت الفارغة
نسلك الطرق التي صارت
غريبة..
الطرق التي كانت تقبل أقدامنا
حينما كانت ممراً لمدارسنا..

سنكون حذرين كثيراً
كي لا توقظ خشخشة المفاتيح الحرب اللعينة..
من يعلم..
ربما أيضاً تطول غفوتها ونصل لحافة البحر..
عندما تنام الحرب
أو تتكئ قليلاً على جنبها
سنتسلل من فتحات كنا نهرب منها
صوب أمهاتنا ونبكي..
نبكي لأن أحداً منا لم يصل..
وتلقفته يد الحرب..
سنتوارى كلما تحركت قدمها حتى تهدأ
نكتم ضحكة خبيثة..
وقبل أن تنهض وتبصرنا
نغلق كل هذا وراءنا..
ونُرجِع المفاتيح على مهل
ثم نكمل موتنا الطويل.

# أفكّر في بيع دموعي

لا أحد يعطي مجاناً

الكل هنا يقبض الثمن كاملاً

ولو كان بخساً..

كل شيء مقدر جيداً

وربما أعلى من قيمته أيضاً

الشوق مثلاً

نعطيه للبعض فيدفعون

ثمنه غياباً باهظاً..

اليوم قلت لجاري (صباح الخير) فلم يرد

علمت بعدها أن الصباحات ارتفع سعرها هذه الأيام.

لابد أن الناس صاروا يعرفون جيداً
قيمة الصباحات الجميلة.. وهذا جيد.. جيد حقاً
على الأقل من وجهة نظر ليل طويل
أنا أيضاً صرت أفكر في بيع دموعي
لدي الكثير منها...
ولابد أن الكثيرين أيضاً قد جفت مآقيهم
ويحتاجون دمعاً يستر عوراتهم.
جارتنا الجميلة صارت تبيع ابتسامات
يا لها من خبيثة حقاً..
تعرف أن ابتسامتها فاتنة
لأجل ذلك بدا الثراء واضحاً
مذ غيرت حذاءها الأسود القديم بكعب جديد
كل شيء بمقابل الآن
الحب.. الحزن..
النظرة العطوفة.. اللقاءات العابرة

هل تصدقون أن بعضهم يأخذ منك ثمن
لقائه بالصدفة
يقول إنه لا يُقدّر بثمن
أنتم أيضاً عليكم أن تدفعوا الثمن الآن
ثمن هذا النص..
لا يمكنكم أن تقرأوه أو تسمعوه مجاناً
ولو كان رديئاً
ثم عليكم أن تكونوا حذرين حقاً
قد تدفعون ثمن بقائكم صامتين
من يعلم؟
ربما يصير الكلام منجاتكم من الفقر
عندما يكون الصمت قيماً.. قيماً كثيراً.

# كسرة صغيرة من الفرح

عندما تتحصل على كسرة صغيرة من الفرح

ترتبك....

تخاف عليها..

تشعر أن الكل يترصدك لأجلها

تقبض عليها بكليتي يديك

تدسها بجيب قلبك الواسع

تسمع تدحرجها داخله

فتطمئن..

تنزوي وحيداً

تخرجها لتمسحها

من الغبار..

تمشي وتتلفت
كي لا تمتد إليها يد ما
وكلما ناداك أحدهم تضعها خلف
ظهرك كسارق محترف
كسرة صغيرة لكنك تنتشي بها
وسط هذا الكم الهائل من البؤس
وعندما تحس بقرب نفادها
تظل تركض بها وتصرخ
لا تتلاشي الآن أرجوك
فقط يوم واحد آخر ..أو نصفه ابقي...
ثم تتحسس جيبك الخالي حتى من فتات الفرح
وتبكي..
تبكي لأنك هش وضعيف
ولا تقوى على الالتفات بعدها كي لا يسقط
رأسك من هشاشتك.

# حين تُمرِّين

في اللحظة التي تمرّين فيها

تحدث أشياء غريبة..

يتمدد الناس بينما تمر

الطرق مسرعة صوب منازلها..

تمطر الأرض فتخضر السحب

وتتمرغ الطيور في وحل السماء..

يقودنا العميان إلى وجهتنا..

يطلق الرصيف ضحكة مجلجلة..

وتعانق بعض البيوت بعضها..

عندما تمرين..

يصيح الباعة على بضاعتهم بالمجان..

ثم يعودون بجيوب ممتلئة..

تبدو المحال كأفواه العذارى..

ويستخدم رجال المرور نايات بدل الصفارات

بعضهم يرقص أيضاً..

عندما تمرين..

ولو مصادفة

يظل الشارع طويلاً..

طويلاً بلا أفق

تقترب المسافات البعيدة

بينما تركض العجائز

محتفيات بأيام جديدة كادت تتلاشى في الذاكرة..

تتنهد أعمدة النور

تهمس لبعضها..

وحدي عندما تمرّين

أظل ساهماً في وجهك الحافل بالبهاء

بينما أقبض على قلبي

كي لا يستحيل نخلةً فجأة.

# مُجازفة

ليست لي خطّة ما..
دخلت الحياةَ هكذا مجازفةً..
لا سكين.. ولا مسدس
ولا عصا أهش بها هوامّ
الحزن..
حافياً.. أمشي مسافاتٍ طويلة
دون وجهةٍ معينة..
وعندما أتعب أضع
رأسي على فخذ ظلي
ولا أنام..
لا مأوى لي..

أبيت حيث ينتهي بي النهار..
مرةً وجدتُ كهفاً صغيراً فدخلته..
في الليل صارت الجدران تتسرب
منها الدماء..
فهربت..
لكن الكهف ظل يركض أيضاً..
يركض ويذوي حتى
عرفت أنه كان كومةً من الذكريات..
لا أعرف طريقة للعيش
حتى الآن..
إنني أحيا فقط..
أنصب أشراكاً كثيرةً للحزن فأقع فيها..
وأحاول جمع الأيام
في صرّة واحدة
لكنها تتبدد في كل مرة..
أحث السير على الطريق الخطأ..

والكل يصفّق بقوة
دون أن ينبهني أحدهم عن الحافة..
لا مواعيد لي..
لا ينتظرني أحد في نهاية الوقت..
لي صديقة واحدة أخبرتني مرةً أنها ماتت..
ضحكت كثيراً ولم أصدقها..
لكنني رأيت جثثاً تخرج من فمها فبكيت..
بكيت.. لأن أحداً لم يشعر بموتها
كل هذا الزمن مثلي..
كانت تضحك حتى تيبّس جسدها دون إشارة حتى..
ليس لي خطة ما..
تسيل دموعي إلى الداخل..
بينما تتشقق جبهتي كلما قررت التفكير
في خطة للنجاة.

# اعتذارات

أعتذر لكلّ شيء

للّيالي الّتي كنتُ أظنّها تطولُ عمداً

للدّمعِ الّذي لم أذرفهُ بعدُ

ليدي الّتي ما انفكّت تلوّح..

للصّباحاتِ الّتي كانت تظنّني بخيرٍ

لأنّني أبتسم..

للابتسامات أيضاً لأنّني كنتُ

أغافلها وأبكي!

للطّرقِ التي لم أطأها وأنا تائه..

للكلامِ الّذي كان يجبُ أن يُقال..

للصّمتِ الّذي فُسّر بألفِ معنى

بعيداً عن معناه..

للأوغاد الّذين لم أخبرهُم أنهم

قذارةُ هذا العالم..

لفراشي الّذي يحملُ جثّتي المسمومة

كلّ هذا الوقت..

للاعتذارات الّتي احتاجت اعتذارات..

للمواعيد الّتي وصلتها متأخراً بقصد و بلا قصد..

لأيّامي وأنا أحفرُ أمامها

كي تسير في خطّ واحد..

لفمي وأنا أحشوهُ بالكلام الفارغ..

للأرواح النقيّةِ الّتي تخرجُ قليلاً

ثمّ تعودُ لخلواتها

ثمّ نبحثُ عنها ولا نجدها..

# تمزُّق

آه أيها العمر..

كنتُ أود لو تجلسُ قليلاً فقط

قليلاً بما يكفي لأخبرك عما كنتُ سأفعلهُ

في حضورك..

لكنّك مررتَ بخطوةٍ واسعةٍ ولم تسلّم حتى!

أنا الآن مثلَ عتبةِ بابٍ مكسورةٍ

قلبي..

كل الذينَ مرّوا من خلالِي تجنّبوه

بخطوةٍ واسعة!

اليوم وأنا ألوّح لجاري سقطت

أصابِعي فجأة..

أدركتُ حينهَا كم صرتُ هشاً!

لا أفعلُ شيئاً..

فقط أجلسُ على ركبتيّ وأخيط أيامي

المهترئة على مهل..

وفي كل مرةٍ أقفُ.. أسمع صوت

تمزقٍ طويلٍ في العمر!

# شكل الحزن

لا أحدَ يعرفُ شكل الحزنِ تحديداً

و لم يجزم أحد بوصفهِ..

شيخُ القريةِ أقسمَ أنه رآه مرةً يمشي

في طرفِ الوادي ساعةَ

الغروب..

و أن له جناحين كبيرين ووجهه

مجعّد كيدِ عجوز!

و أنّه عندما طارَ فجأة تناثرتْ

بعض الأحزانِ من جناحهِ على شكل

ريشٍ في الغابة..

منذُ ذلك الحين والرعاةُ يحرقونَ الريشَ تفاؤلاً!

الأرملةُ القاطنةُ في طرفِ القريةِ

قالت إنه يشبهُ الكلب..

و إنّها رأتهُ مرةً أمامَ بيتِها ينبحُ على

حبل الغسيل..

ثم ابتعدَ و تلاشى داخل حجرٍ كبيرٍ

حتى تشقّق!

ضحكَ أهل القريةِ من روايتها..

لكنّهم سكتوا عندما تشقّقت وجوههم فجأة...

الأبكمُ وصفَ لهم شيئاً ضخماً بقرنين

و أصدرَ لهم صوتاً غريباً

من جوفه..

خاف الناسُ أن يضحكوا فتظهر

لهم قرونٌ أيضاً..

فاكتفوا بمشاهدةِ الأبكمِ والقرون تشقّ

رأسه!

اليتيمةُ صمتت كثيراً..

لكنّها انفجرتْ في وجوههم: لقد رأيتُه..

رأيتهُ وهو يسيلُ من صورةِ أمي

إنه كالماءِ لا لون له و لا رائحة!

عرفتُ حينها كيف لهَذا الشيء أن ينخُر العظام

قال المجنون: وهذا يفسّر أيضاً انهمار

الحزنِ من عينيك!

سكتَ الناس كلّهم

بينمَا سمعوا صوتاً كتدفّقِ نهر

يجرفُ أفراح القرية تلك الليلة..

لا أحد يعرفُ شكل الحزنِ قلتُ لكم!

قال الحزنُ نفسه!

ثم اتّكأ على جنبهِ بين الجموع يسمعُ بقيةَ

أخبارهِ ويبتسم!

# أيتها البلاد

إلى أين المساقُ أيتها البِلاد

نحن أبناؤكِ البارون

لم ننهركِ ولم نقل لك أفٍّ

و كنا نرجعُ إليكِ

كل يومٍ قبل أن يغمركِ الليل..

ولكنكِ كنتِ ترمين لنا صرّة من

الأحزان من نافذةِ الحرب..

تقولينَ لا مبيتَ

لكمُ اليوم ها هُنا أيها الفاشلُون..

إلى أين المساقُ يا أمّنا

نعرفُ أنكِ حنونَة..

والحياةَ تختبئُ في ثوبكِ العتيق

عن الفاسدِين!

لكنّهم في كلّ مرةٍ يجرّونها من

أذنها صوبَ الموتِ..

إلى أين تأخذينَنا إذاً؟

دعينَا نموتُ في كنفكِ على الأقل..

نحن الذينَ لفظتنَا المَواطن كلها

بُتِرت أيادينا بينما كنا نلوّح

للموتى.

لا نفعلُ شيئاً الآن..

فقط.. كلّما رحلَ أخٌ لنا هامت ظلالنَا

فيكِ على وجوهِها

وهي تصرخ...

# كلام

الكلامُ الذي يخنقُنا..

الكلامُ الذي يصلُ إلى الحلقِ

ثم يعودُ لأنّ ظهرهُ انكسرَ من التسلّق..

الكلامُ الذي قلناهُ ثم عبثاً

حاولنَا استرجاعهُ..

الكلامُ الذي تفاعلَ مع الحزنِ مسبباً

حريقاً في الروح..

الكلامُ الذي لا يمكنُ أن نبوحَ به

لأنّه لا صوت له..

الكلام الذي نحاولُ به وصفَ الألمِ فنبتلعهُ

ريقاً مراً..

كل هذا الكلامِ لن تحسّوا به..

لذلك كلمّا تحدّثنا خرجَ كله

على شكلِ بكاءٍ حار..

# غابات

النهرُ فرحُ الغابةِ التّائه

لذلكَ عندمَا وصل بكتهُ بغزارةٍ

على شكل شلّال...

لا أحدَ يروي سيرةَ الغابةِ

كالفأس..

و لا أحد يستمعُ لها بعمقٍ

كشجرةٍ مقطوعة!

لم تستقبِلهُ سوى الغابة ع

ندماً عادَ مبتوراً..!

الجنديّ المقطوعُ من شجرة

لا شيءَ يثيرُ حزن الغابةِ

كالحطابين..

و في كلّ مرةٍ يقصدونها تفقدُ

الذاكرةَ و تحتضنهُم!

المقطُوعون من شجَرةٍ

مساكِين..

كلّ يدٍ مُدّت لهُم ألقَتهم

في النّار!

# على سبيل المثال

ما يكونُ منكَ قدْ

يقتُلك!

الشّجرة ويدُ الفأسِ مثالاً

ما لاَ يكونُ منكَ

قدْ يُحييك!

الشّجرةُ والغيمةُ مثالاً

ما يُحييكَ قدْ

يقتلكَ!

الشجرةُ والسّيلُ مثالٌ أيضاً

في آخرِ السّيل شجرةٌ تتّكئ
على يدِ فأس!
ما يقتُلك بدايةً قدْ يُحييك!

# لم تمُت

قبل أن تموت كان الكُفرُ يتربص

بها من كل جانب..

بينما هي لا تفعل شيئاً..

لا تفعل شيئاً يا إلهنا

سوى أنها كانت تدعوك لأجل هذه البلاد..

تمشط شعرها كل يوم

وتبتسم في وجوه الذين صدّقوا زوراً

أنها فاسقة وقتلوها..

قتلوها عندما شعروا أن شيئاً ما

بدأ ينبثق من روحها ليكشفهم واحداً واحداً..

عندما كانت تبتهل لأجل الجمال

والأرض الطيبة..

الشوارع أيضاً كانت تعانقها وتمد لها

أيديها ملفوفة بالقصائد عن الشجر والحجر

والوطن الذي نهبوه طريقاً طريقاً..

كانت شاعرة ولم تقل شعراً

تمسح العرق عن البيوت المتعبة..

وتجهش بالبكاء على الذين قضوا وهم يحاولون رأب الصدع

في هذه البلاد..

لكنهم لم يفهموا كل هذا

أولئك الذين سال ريقهم على

حور الجنة فقتلوا حورنا..

الذين ما فتئ دينهم يقطعنا من خِلاف باسم

الباقية المتمددة.. لأجل نكاحٍ مستفحل في

صدورهم القذرة..

قتلوها.. لكن دماءها للآن وهي تسيل

في الأزقة..

على الرصيف..

في الغابات.. في بيوت الكادحات..

على ظهور الذين عرفوا كيف

يمكن انتزاع الأوطان من أنياب الكلاب..

ذبحوها..

لكنها للآن وهي تذبح فكرة فاسدةً وتغني:

يا بلادي نسمعها..

نحن الذين بكيناها ونردد خلفها:

يا بلادي يا بلادي

ونبتسم أيضاً لأنها لم تمت للآن في قلوبنا.

# الأسماء

الأسماء مجرد لافتاتٍ لنا

نحن الذين نبدو كشوارعَ تسير في

الشوارع..

أنا مثلاً أشعر أنني شارع طويل

طويل ومعتم..

لا أحد يمر من خلالي و إن مر فخِلسة..

ماذا لو كنا بلا أسماء؟

سنكون كأزقة ضيقة في حيّ فقير

لا إشارات فيه ولا دلائل..

يحدث أيضاً أن تكون بلا اسم

لكن جدرانك مليئة بخربشات الغرباء..

الغرباء الذين فضّلوا وسمك

بأسماء غريبة..

(شارع المنسيين) مثلاً.. أو (زنقة الحشيش)

يااااه.. أيعقل أن أحدنا هو مجرد زقاق

مليء بالحشيش؟

وأن اسمه العالق به هو مجرد لافتة وهمية..

أعرف رجلاً باسم غريب هو

أيضاً يبدو واسعاً جداً...

مرةً قررت البلدية تضييقه وسموه شارع (وسّع بالك)

للآن وهذا الرجل مزدحم بالمارة ويصرخ..

المرأة التي أحبها أيضاً تملك لافتة جميلة..

منذ أن دخلت منها وأنا أمشي

تحت ظل الياسمين

نعم..

ربما تجد شارعاً يدعى أحمد

ثم تكتشف في النهاية أنه جارك قد أضاع حيّه..

الأسماء عناوين لنا لا غير..

نحن الذين نصرّ على أن نكون لائقين بأسمائنا

ونفشل..

نفشل وقد تسقط أسماؤنا أو تصدأ حتى

ونظل شوارع مجهولة مجدداً

# ثُقب

مجروحة هذه الأيام

و نحن نسيل منها كدماء ساخنة..

من قال إن الزمن كفيل بالنسيان؟!

لابد أنه كان بلا ذاكرةٍ أصلاً..

أو أنه نحت ذاكرةً قبيحةً لدى أحدهم وهرب..

ها نحن نكدّس الوقت فوق الوقت

و لا ننسى..

نتذكر حتى أشياء لا تتعلق بنا..

ثم نضحكُ ببلاهةٍ لأن خيالاً عزيزاً مر

بالصدفةِ أثناء تذكّر ملعون..

أذكر مرةً أنني أسرفتُ في محاولةِ النسيان

فتشقّق وجهي..

قال جاري: إن هناك رؤوساً صغيرةً تخرج من جبهتي

و ترجع!

صدّقته.. ذلك لأنني نجحت في قطع أحدها بالصدفة..

للآن وأنا أسمع صراخه

لابد أنه صار

ذاكرةً ثابتة.

هذه الأيام مجروحة نعم..

لا شيء يشد على جرحها المتسع كل يوم..

وأنا كَخيّاط مُسن.. أحاول عبثاً أن أَلِج ثقب الحَياةِ..

و لكنّ رُوحِي تَرتعِشْ.. تَرتعِشُ يا صديقي!

# خذلان

يموت الكثيرون بينما أنت تحتضر

الوقت ـ وإن كان ضيقاً ـ

كافٍ لكل شيء حتى للموت..

تضع سيدةٌ زهرةً في مزهريتها

بينما تضع الحرب رصاصةً في رأس زوجها..

الزوج أيضاً مزهرية بشكلٍ ما

وإلّا فكيفَ تكدّس رأسه بالجثث الملونة؟

الوقتُ لا وقتَ له..

يستغلّ نفسه بشكل لائقٍ تماماً

وأنا أريد أن أحبكِ بسرعة.. أن أحبك

قبل فوات الوقت..

يموتُ الكثيرون بينما أنت تحتضر..

لا أحد ينتظر موتك ليبكيك

الكل مشغول بنفسه فيما أنتَ تنزلق رويداً

من أعلى الحياةِ كقطرةِ ماء قاومتِ

التبخّر قليلاً..

تناستكَ أحلامُك..

هي الآن تتسرب من روحِك خلسةً

كي لا تجرحك..

لكنك ترمقها بطرف عينِك وتصرخ بصمتٍ مدوٍّ..

يموتُ الكثيرون يا عزيزي و أنت تحتضر..

ولا شيء.. لا شيء يمكنُه إعادتُك للحياةِ

عندما يموت قلبُك إثرَ خذلانٍ أعمى..

# كُلّ ذلك...

كلّ هذا الحزْن الذِي يتسرّب من

تجاوِيفي ولمْ أفْرغ..

كلّ الخطَايا التِي تُبتُ منْها

ولازالتْ تسْحبُني على وجْهي وأنا مُمسكٌ

بحبْل أيامِي المهترئة..

الأشرارُ الذينَ يتكبّدون مشقّة السفرِ

إلى روحِي فقط ليُخبرونِي أنهم ليسُوا معتَذرين

عن شَيء..

البلادُ المراهِقة التي ما فتِأت تمارسُ

عاداتٍ سرّية وتقذِفنا في المنَافي وقوارِب

الموتْ بلُزوجةٍ قذِرة!..

الأصدقاءُ الأوغَاد!

الذِين كلّما بالغْتُ بمحبّتهم.. بالغُوا في هجْرانِي!..

الأكفُ التِي مدّت لي ذاتَ اليمِين

و طعنَتني بذاتَ اليسَار!..

كلّ ذلِك يا عزِيزَتي كلّ ذلك ولازِلت

أضعُ يداً على رُوحي

وأدفعُ عنْ روحكِ بؤس هذا الزمنِ

الكئيب من ياقتِهِ.. بِيد.!

# طعنة

نحن أربعة عشر أخاً وأختاً و أبوين

طاعنين في حبنا..

ينهضان باكراً

تجلس أمي في ردهةِ البيتِ كشجرةٍ وارفة..

تُلقمُ أفواهنا الخبز

وقلوبنا بدعاءٍ طري..

بينما كان أبي يشمّر عن ساعديهِ

و يخرجُ حذراً..

لا ندري لماذا كان يغيب نهاراً كاملاً عنا..

لكنّه كان يعود في المساء بدماءٍ غزيرةٍ

و جرحٍ في الجبهة!

يهمس لأمي: اليوم هزمتُه رغمَ أنني متعب

أنظري.. حاول طعني اليوم أيضاً لكنني

طعنتهُ في خصره فتركني

فتسيلُ أمي على جسدهِ كدواء!

في الليل يتحولُ أبي أيضاً لشجرةٍ بجانبها

بينما نتفيأ نحن ابتسامته..

ندور حولهُ..

بينما يخرجُ النور من ندباته!

ولا نعلم من أحدثَ كل هذا به؟

مات أبي..

ولازالت أمي تجلسُ كشجرةٍ وارفةٍ تنتظره..

بينما نحن لازلنا أربعة عشر أخاً وأختاً

ننهض باكراً..

نشمّر عن سواعدنا ونخرجُ بحذر..

ثم نعود في آخر اليوم بوجوه

مضرّجةٍ بالدماء.. وندوب كثيرة

تقول أمي:

كونوا كوالدكم..

لا تجعلوا الزمن يطعنكم إنه مصاب

من طعنةِ أبيكم.

# الركض عبْرَ الخراب

ستعتادين الحربَ يا عزِيزتي

كمَا فعلتُ أنا..

ليسَ هذا فقط.. ستُحبينها ،

وستشعُرين بالضجَر كلّما توقّفتْ

أو تنفّستْ قليلاً..

سيُعجبك أيضاً نهرُ الموتِ المتدفّق وسطَ مدينتنا

والذي يصبّ في المقبرةِ الجنوبيّة

منذُ سنوات!

غرِق الكثيرُ من الأحبّة فيه

سبَحوا بقوّة لينجوا..

لكنه جرفهُم يا عزيزتي كعيدانِ خشب..

سأحبّك كثيراً وسطَ هذه الدماء..

وسنَضحك!

كلّما سقطتْ بالقُرب قذيفةٌ ولم تنفَجر..

سنضحكُ لأننا لم نمُت بعد!

ثمّ سنزرعُها في حقلِنا الصغيرِ ردّاً

للجميل..

سنركضُ عبرَ الخراب

و ستقُولين ما بينَ جثّة وجثّة قبّلني هنا

و سأمسحُ غبارَ وجهكِ بأصابعي

المبتُورة!

و أهدِيك عقداً من رصاصاتٍ فارِغة..

سنعشقُ الحربَ

صدّقيني ليسَ الأمرُ

صعباً..

نحتاجُ فقط أن نستعدّ للموتِ كي
يفقِد نشوةَ مفاجأتِنا..
وربما أيضاً سنموتُ متعانِقين نكايةً به!
الحربُ خدعةٌ كما تعرفِين
لن تتوقّف لبكائنا..
سنحبّها كثيراً كلّما قتلتْ كثيراً
وستملّ أو نملُّ نحن..
لن نخسرَ شيئاً
لأنّنا ميّتون منذ زمنٍ
نحنُ فقطَ نُتناولُ جرعاتٍ زائدةً من الحب
كي لا نموتَ ونحنُ نلعنُ هذه البلادَ!.

# الجُبّ

تركوكَ فِي الجُب أيّها العزِيز..

والتقطَكَ السيّارة..

و تركُوني في هذهِ البِلاد وما أدْلى

بدلْوهِ سائِر صوبَ روحِي..

لا شَيء تَغيرَ في هذَا الوطنِ

مذْ أكلنِي الذِئب زُوراً.. وماتَ أبِي

بصِيراً..

بصِيراً بمَا يكفِي لأَن يجِد رِيحي

بعدَ موتِه

لستُ نبياً..

و لا لِي وجهُ نبِي

لكِنهم تركَوني يا يوسف!!

أتَسمع نُواحي؟

أتُشاهدُ يا عزيزُ يدِي ممْدودةً نحوَ

فمِ البِئر؟

لكنّ أحداً لم يفتحِ البئر حتّى!

هذهِ البلادُ الجَائرةُ يا أخي..

لا سنَابلَ فيهَا ولا ذئَاب برِيئة!

فقط.. إخوةٌ كلّما أسندتَ علَيهم

كَتفك ألقَوكَ في القَاعِ

وسرقُوا صُواع الملِك....

# حزن الرعاة

من يحدّثنا عن حزنِ الراعي؟!

من يخبرنا كيف يبكي

الرعاة؟!

الرعاة الذين كلما ماتت نعجة..

توسدوا جذع شجرة وبكوا

قليلاً.. وحزنوا كثيراً.

الرعاة الدراويش..

أولئك الذين تتدفق دموعهم على جرو مريض..

وتثقب قلوبهم ندبةٌ على جنب الحمار..

من يشعر بهم؟

الطيبون..

الذين تتمسح بهم جراؤهم

فتغمرهم نشوة الفرح العظيم..

يغشاهم الشجن كلما عوى

ذئب في الجوار..

فيطمئنون أن الغابة لا تزال صالحةً للاختباء..

يرقصون على صوت الجنادب

وهمس السنابل في الحقل..

ويحتفون بقطع سلحفاة طريقهم المسرعة

على مهل..

من الذي يغني لنا عنهم

وهم يحشرون أنوفهم في «العرعار»

بعيون مغمضة

ويستذكرون ميلاد الشجرة..

يرددون «الغناوي» خلف شياههم

ويصيخون لألحان المزامير المنهمرة

عبر الأودية..

يهشّون بعصيّهم ضجيج المدن..

وتحفظ وجوههم مسارب «البطّوم»

من يحدثنا عنهم؟

أولئك الذين كلما ابتعدوا قليلاً عن مسارحهم

ردهم الحنين..

وصوت «قمرية» تضلّل الصقر عن

أفراخها.

# المُخَيّلة

تتّسع المخيلة لكلّ شيء..

لعودة الغائبين بعناق

طويل..

تتّسع للمواعيد المؤجلة والمشاوير

الحافلة بالخذلان..

للانتصارات العظيمة وأنت منهكٌ تماماً..

تتّسعُ لدخول الجنة

والخروج منها بسهولة..

للهروب والاختباء بين فراغات الأيام

كفأر صغير..

تتّسع للكذب بطريقة مقنعة

والضحك بعدها..

للنجاة من كل شيء والوقوع في

الفخ عمداً.. وتجاوزه..

للصمت المهيب والكلام بطائلٍ ودونه..

تتسع للطيبين والأوغاد معاً

وللبقاء وحيداً أو مع ظلك..

تتسع لي حين أكون متناثراً..

لكنها تضيق.. تضيق حقاً حين لا تمرين

بها ولو مصادفةً...

# تعالي..

تعالي
نملأ فراغات الأيام بالحب..
ثم نقفز من يوم ليوم
دون أن نسقط أو تتلقفنا
الحافة.

تعالي
نرفع سقف الوله..
ثم نركض تحته
دون أن تصطدم قلوبنا
بالخيبات

تعالي
نمسح الضباب
عن زجاج الحياة..
ثم ننظر
مطمئنين للطريق ونبتسم

تعالي
كي أعرف أنني لم
أكن مخطئاً
حين أخبرتهم أن الطريق
من هنا لأنك في نهايته.

# ذاكرة

مثلكِ أيتها المقابض..
تنضح ذاكرتي بالمصافحات
ولا أحد يبقى.

# الرصيف

ظهرُك بخيرٍ

مُذ قرّرت الحكومةُ معالجتَك..

لم يبصُق عليهِ أحَد..

ولا أوغادَ يدهسُونهُ!

فقطْ.. تنامُ على بطنِك و تنظرُ إليهِم

و هُم يسْحقونَنِي بأحذِيتهم!

هكَذا قال الرصيفُ للرصِيف

المُقابل في مدينتِي..

ثُم أطلقَ سُعالاً طويلاً «

# دعاء

الرّصاصة المتّجهة صوبَ

قلبِ الجندِي

كانتْ خائِفة من صورةِ أمّه

المبتَسمةِ في جيبِه..

أمّه التي انتصَبت بينهُ وبينَ

الرّصاصةِ على شكلِ

دُعاء!

# قطرة ماء

وأنتَ تسحبُ نفسكَ على صفحةِ

الأيامِ بهدوءٍ كقطرةِ ماء

صغيرةٍ..

تاركاً خلفكَ أثراً نديّاً لمن

يحبونَك

ثم تنشفُ روحك..

ينشفُ أثرك..

يتلاشَى محبّوك

و تبقى الأيامُ شاهدةً زور على وجودك!

# لا أحدَ ينتظرُني

ولأنّه لا أحدَ ينتظرُني في كلّ مرةٍ
أعودُ فيها ناجياً من الحياة..
أعلّق عناقي
المبلّل عند مدخلِ العمر..
و أنزعُ الطرق العالقةِ
في رِجلي وأبكي!

# منْ أنت؟

منْ أنت؟!

قال وجهي في المرآة..

ثم مدّ يدهُ ومسحني..

# القشّة

ممتلئةٌ ذاكرتُها

بالصّراخ..

القشّةُ الّتي لم تنقذ

غريقاً واحداً!

# الراعي

عندما مَات

لم يعلَم به أحد

وحدها الطيور اتّخذت من

كتفيهِ مستقراً لأعشاشها

الراعي الذي استحال

شجرة...

# سقوط

يحدثُ أن

تسقُط..

ولا يتلقاكَ غير

ظلِّك!

# الأعمى

محظوظٌ ذلك

الأعمى!

لا يخدعهُ حديثُ العيون...

# جارتي

جارتي عجوزٌ عمياء..

كثيراً ما أخذتْ بيدي للطريق!

أنا الذي لا يستخدمُ عينيهِ..

إلا للبكاء..!

# إحصاء

في كل مرة يحاول

فيها عد رفاقه الموتى

يصل إلى الخمسة ثم يبكي..

الجندي الذي نجا بيد واحدة..

# الدرب

صار وحيداً

الدرب الذي كان

عامراً بالخطي قبل

موت العاهرة....

# ثقل

إنك ثقيل

جداً..

قال ظلي وهو يسحب

نفسه من تحت

رأسي..

# يحدث

يحدث أن

تبتسم..

كردة فعل

على اكتمال الدمع..

# نبوءة

تفتت حصى العرافة

منذ زمن..

بينما النبوءة لا تزال

طازجة في يد الوقت

# شفافية

وحدك اصطدمت

بي

كل الذين عرفتهم مروا

من خلالي وأكملوا

طريقهم..

# لا أعرف

لا أعرف

لماذا كلما قالوا لي

قف عند حدك

وجدت نفسي بجانبك

تماماً.

# هكذا تفعل الحرب

تتوسد بندقيتها
وتجلس القرفصاء عند
حافة الطريق
وتنظر بعينين شبه مغمضتين
لنهر الجثث المتدفق صوب
المقبرة وتبتسم..
ثم تعود ركضاً قبل تخثر
الدم
هكذا تفعل الحرب
بعد كل معركة.

# الأبواب حين تبكي

تكرّر الأبوابُ..

رجاءهَا ألا نخرُج لهذا

العالَم..

لكنّنا نفعَل..!

لأجلِ ذلك هي تَبكينَا على

شكلِ صريِر...

# مقبرة

هل أبدو كمقبرة؟!

- ماذا تقصد؟

- لا شيء.. لكن كل الذين قتلتهم

الحرب تكدّسوا بذاكرتي!

# عميق

_ أنتَ عميقٌ جداً.

_ كيفَ عرفت؟

_ كُلما قذفتُ في روحك كلاماً

لم أسمع له ارتطاماً!

# يدي

كانَ لزاماً عليكَ أن تتركنِي أتشبّث

بتلابيبهم وهم راحلون..

أنا التي لطالما

كفكفتُ دمعكَ في الليالي الطويلة..

قالت يدي..

بينمَا كانت ترتعشُ

وأنا أحشرُها تحت وسادتي.

# البيت

كانَ كلّما ضاقَ صدرهُ أطلق

تنهيدةً من نوافذهِ..

الآن..

يملكُ رئة مفتوحةً على السماء

مباشرةً..

يا لِهذا البيتِ المسكين..

منذ أن بدأتِ الحربُ

صارَ يتنهدُ بصعوبةٍ من السقف!

# بيت اليتامى

لا أحدَ يعلمُ

من أينَ كان يتسرّب الماءُ

من الجدران..؟!

لكنّهم حينما نزعوا صورة

أمّهم الميتة

تشقّق بيتُ اليتامى!

# خطوات الروح

تمشي برفقٍ على

طريق الغياب..

وفي كلِ مرةٍ تجرحها الأيام

المتناثرةُ كالزجاجِ!

روحي التي تلحقُ بكم

حافِية..

# صقيع

باردٌ هذا الحزن..

نحن الذين نرتعشُ ونضرب

الأفراح ببعضها

ولا تشتعلُ...

# زحام

لماذا يتزاحمون

على القفزِ من النافذة!

أولئك الذين دخلوني

من بابيَ الواسع...

# حين تكونِين بجانبي

أنا لا أخشى على قلبِي إلا

حين تكونِين بجانبي..

ذلك أنهُ يصبحُ هشاً

كثيراً..

يثقبُهُ مجرّد تأهّبك للذهاب!

# حيرة

يحدثُ أحياناً

أن تفلتَ من الحزن..

لكنّك لا تدري أين

تركضُ.

# فراغ

لستُ وحيداً..

لكنني كلما أردت احتضان

أحد..

تراكم الفراغ بين ذراعي.

# باب الريح

يحدثُ

أن تغلقَ الباب الذي تأتيكَ

منه الريح..

لكن يدها لا تتوقف

عن الطرق

# حنين

في لحظةِ حنين

جارف..

ربما أيضاً تورقُ

يدُ الفأسِ

شوقاً لأمها الشجرة.

# سطوة المناجل

تبوء بالفشل

كل مرة..

محاولات الحقل الصراخ

تحت سطوة المناجل.

# إيماءة

حافلة بالرجاء..

الإيماءة الأخيرة في

الوداعات.

# صُدفة

أنا الصدفة الغريبة..

وحده وجهك يجعلني

موعدا منتظراً.

# وجهك

لم أنس أحداً..

ذاكرتي فقط لا تتسع

لغير وجهك.

# عطش الآبار

الآبار الفارغة مليئة

بصراخ التائهين..

إنها أيضا تموت من

العطش..

# ألغام

لم يحدث أن زرع أحدهم

لغما وأينع..

ربما لا يليق بالألغام

مطلقاً أن تلعب دور الشجرة.

# الأرملة

بينما كانت ترمّم أيامها..

عثرت على قبلة

لم تزل طرية في شقوقها..

لأجل ذلك..

لم يسقط الجدار على الأرملة

# الشاطئ

لم تُغْرِهِ الزّرقة..

الشاطئ الذي تصافحه

الأمواج منذ دهر

ولم يغرق.

# المرايا

من يدري..

ربما لامتلائها بوجوهنا

تتشقق ذاكرة المرايا.

# ارتطام

الدلو الذي غاص عميقاً

خانته البئر..

لذلك كان لارتطامه

المؤلم كل هذا

الدويّ.

# الغريق

كل اليابسة تبدو على

شكل قشة

في مخيلة الغريق.

# مقابر جماعية

المقابرُ الجماعيةُ

للجنود

تستحيلُ مياهً جوفية..!

وهذا يفسّر حتماً

كيفَ تنبتُ المدنُ بعدَ كل

هذا الموت الغزير!

# لا أحدَ يشبهُني

لا أحدَ يشبهُني غير

ظلّي..

ظلّي الذي عندما نبَتَ لهُ شارِبانِ

قتلتْهُ الحرب..

# مطاردة

وأنتَ تركضُ مذعوراً

ولا تلتفتُ..

تسرقُ نظرةً للوراء..

لا أُناس خلفكَ

ولا كلاب..

فقط.. الأيّام بنابٍ مكسورٍ

وعينٍ واحدةٍ تقتفِي أثر

عمركَ اليتيم!

# وسط الضباب

وأنتَ واقفٌ وسط ضبابِ
عمركَ الكثيف..
تميلُ برأسكَ
و تنظرُ بعينينِ نصف مغمضتين..
لتتبيّن ملامحَ القادمِين..
ربّما هم!
لكنّ أحداً لم يصِل..
تطلقُ زفرةً ساخنةً
وترجعُ بخيبةٍ
طويلة طول غيابهم..
بينمَا يهمس الطريقُ لك:
عُد في الغد لعلّهم تائهون فقط!

# صراخ

يستحي كثيراً منهم وهم يستنجدون

بالقش..

لذلك يستحيلُ وجههُ

لفقاعات!

الماء البريء من صراخِ الغرقى...

# تلويحة طويلة

لطالما صرخ بها
عوضاً عن فمه
الأبكم الذي استنفد
آخر إشارات يده في
تلويحة طويلة...

# ما يقوله الحزن

أبكِ على رسلك

لست مستعجلاً..

يقول الحزن

ثم يضع رجلاً فوق رجل..

# المقعد المهجور

المقعد المهجور في
الحديقة كان عامراً
بالقلوب..

# تمهّل قليلاً..

تمهّل قليلاً..

ربّما نُمسك بأمنيةٍ واحدةٍ..

واحدةٍ فقط كجبرٍ

للرّوح!

ثمّ فليتقوّس ظهركَ..

أيها العمرُ الجدِيب.

# مشوار

مشوار الألف ميل

والذي بدأناه بخطوة

انتهى..

لكننا لم نجد شيئاً هناك

من يردنا ولو ميلاً

واحداً؟

# يَبَاس

لِمَ لا تسقط أيها اليابس؟

يقول الحزن..

ثم يدفعني بكلتا يديه.

# النافذة

ولأنه بقدمين
كان للباب كل هذا
الحظ من المصافحات.
تقول النافذة..
بينما تتحسس جسدها
وتنظر للشارع
المزدحم.

# هروب

يحدث أن تنام وتحلم

بالهروب..

ثم تفتح عينيك وأنت تلهث..

بينما ظلك يبتسم قائلاً:

خذ نفساً عميقاً ولا تبتعد

كثيراً في المرة

القادمة.

# غُصّة

في الحرب..

وبعد يومٍ غارقٍ في الدم..

تخنق النهارَ غصةٌ على شكل

غروب..

ثم يجهش بليل طويل..

حتى يُربّت على ظهره نهار آخر.

# العابر

آه أيها العمر..

كنت أود لو تجلس قليلاً

فقط بما يكفي لأخبرك عما كنت

سأفعله في حضورك..

لكنك مررت بخطوة واسعة

ولم تُسلّم حتى.

# هشاشة

أنتَ هشّ للغاية

في كلّ مرةٍ تسقطُ منكَ قطعةٌ على رأسي

ولا تلتفِت!

قال ظلّي.. بينما كانَ

يُزيح عن وجههِ وجهي الشاحِب ويبكِي...

# صلابة

أعرفُ أنكِ رسولُ من السماءِ
لوجهيَ اليابس..
لكنّني أظن
أننا في زمنٍ يحتاج صلابةً أكثر.
قال الحجرُ لقطرةِ مطر وهو يحاولُ
أن ينفضَ البلل..

# كاد...

كاد يكون يقيناً..

الشك الذي قطعته

فكرة متأخرة.

# فهرس

مثلَ ثقبٍ في نافذة ..... 005
لا شيء قد تغير كثيراً ..... 007
الشوارع الفقيرة ..... 009
نعتذر ..... 011
أنت؟..... 013
حصّالة..... 015
عندما تفلتك الحرب ..... 017
إعادة تعريف ..... 019
الحطاب ..... 021
تقهقر بلا جسد ..... 023
التائهون ..... 027
مفتاح ..... 029

المدينة ..... 031
حين تنام الحرب ..... 033
أفكّر في بيع دموعي ..... 035
كسرة صغيرة من الفرح ..... 039
حين تمرّين ..... 041
مجازفة ..... 045
اعتذارات ..... 049
تمزّق ..... 051
شكل الحزن ..... 053
أيتها البلاد ..... 057
كلام ..... 059
غابات ..... 061
على سبيل المثال ..... 063
لم تمت ..... 065
الأسماء ..... 069
ثقب ..... 073
خذلان ..... 075
كل ذلك ..... 077

طعنة ..... 079
الركض عبر الخراب ..... 083
الجُبّ ..... 087
حزن الرعاة ..... 089
المُخيّلة ..... 093
تعالي ..... 095
ذاكرة ..... 097
الرصيف ..... 098
دعاء ..... 099
قطرة ماء ..... 100
لا أحد ينتظرني ..... 101
من أنت؟ ..... 102
القشة ..... 103
الراعي ..... 104
سقوط ..... 105
الأعمى ..... 106
جارتي ..... 107
إحصاء ..... 108

الدرب ..... 109
ثقل ..... 110
يحدث ..... 111
نبوءة ..... 112
شفافية ..... 113
لا أعرف ..... 114
هكذا تفعل الحرب ..... 115
الأبواب حين تبكي ..... 116
مقبرة ..... 117
عميق ..... 118
يدي ..... 119
البيت ..... 120
بيت اليتامى ..... 121
خطوات الروح ..... 122
صقيع ..... 123
زحام ..... 124
حين تكونين بجانبي ..... 125
حيرة ..... 126

فراغ ..... 127
باب الريح ..... 128
حنين ..... 129
سطوة المناجل ..... 130
إيماءة ..... 131
صدفة ..... 132
وجهك ..... 133
عطش الآبار ..... 134
ألغام ..... 135
الأرملة ..... 136
الشاطئ ..... 137
المرايا ..... 138
ارتطام ..... 139
الغريق ..... 140
مقابر جماعية ..... 141
لا أحد يشبهني ..... 142
مطاردة ..... 143
وسط الضباب ..... 144

صراخ ..... 145
تلويحة طويلة ..... 146
ما يقوله الحزن ..... 147
المقعد المهجور ..... 148
تمهّل قليلاً ..... 149
مشوار ..... 150
يباس ..... 151
النافذة ..... 152
هروب ..... 153
غُصّة ..... 154
العابر ..... 155
هشاشة ..... 156
صلابة ..... 157
كاد ..... 158